مضمون خطاب سجع الكهان

تعريف سجع الكهان:

السجع: هو توافق العبارات أو الجمل في نهايات الفواصل أو هو الكلام المقفى غير الموزون الذي ارتبط في الجاهلية بشريحة الكهان.

و**الكهّان** عند العرب طائفة ذات قداسة دينية، شأنهم شأن الحكام في المنافرات. وكانوا يشغلون الوظائف الدينية في أماكن العبادات و يزعمون الاطلاع على الغيب، وأن لكل منهم رئيّاً – أي صاحباً من الجن – يعرف الكاهن عن طريقه ما سيكون من أمور. ولتحقيق هذه الغاية كانوا يعمدون إلى السجع في لغة غامضة مؤلفة من ألفاظ غريبة ومعان معقدة وعبارات صعبة مبهمة ؛ لإيهام السامعين أنهم يتلقون ذلك من مصدر مجهول يرتبط بالغيب، وكان الناس يتوافدون على هؤلاء الكُهّان من مختلف الجهات فيحكمونهم في منازعاتهم، ويستشيرونهم في أمورهم الخاصة وما ينوُونه من أعمال، أو ما يرونه في منامهم من أحلام.

وقد ظهر في العرب عدد من هؤلاء الكهان، وفيهم من كانوا حكاماً في المنافرات أيضاً. ومنهم: شافع بن كليب الصدفي، وسطيح الذئبي، وشق الأنماري، وعوف الأسدي. ومن النساء الكاهنات: فاطمة الخثعمية، وطريفة اليمينية، وزبراء ، وعفيراء .

من نماذجه:

1- شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي عليه الصلاة والسلام:

قَدِم على تُبَّعٍ* الآخِرِ ملك اليمن، قبل خروجه لقتال المدينة شافعُ بن كليب الصدفي، وكان كاهنا، فقال له تُبَّع: هل تجد لقوم مُلْكا يوازي مُلكي؟ قال: لا، إلاّ مُلْكُ غسّان. قال:

فهل تجد مُلكا يزيد عليه؟ قال: أجدُهُ لبارٍّ مبرورٍ، ورائدٍ بالقُهُور، ووصفٍ في الزّبور، فُضِّلَتْ أُمّتُه في السُّفُور، يُفَرِّجُ الظُّلَمَ بالنّور، أحمَدَ النبيُّ، طوبى لأمَّتِه حين يجيءُ أحدُ بني لُؤَيٍّ، ثمّ أحَدُ بني قُصَيٍّ.

فنظر تُبَّع في الزبور، فإذا هو يجد صفة النبيّ صلى الله عليه وسلم.

2- قول الكاهنة عُفيراء في تفسير رؤيا الملك "مَرْثِد بن عبد كُلالَ بن مثوب الرّعيني": "رأيتَ أعاصيرَ زوابعْ بعضُها لبعضٍ تابعْ ، يقفوها نهرٌ متدافعْ ، وسمعتَ فيما أنتَ سامعْ دعاءً ذي جرسٍ صادعِ: هَلمُّوا إلى المشارعِ رويٍ جارعٍ وغرقٍ كارعٍ."

قال الملك: أجل هذه رؤياي ، فما تأويلها يا عفيراء ؟

قالت عفيراء : الأعاصيرُ الزوابع: ملوكٌ تبابع، والنهرُ: عِلمٌ واسعٌ، والداعي: نبيٌ شافعٌ والجارعُ: وليٌ له تابعٌ ، والكارعُ: عدوٌ له منازعٌ.

خصائص أسجاع الكهان :

أما من خصائص أسجاع الكهان فإنها – في جملتها – كلام عام، لا يرشد السامع إلى حقائق جلية، وإنما يضعه في الغموض والإبهام، وقصر الجمل لإلهاء السامع عن تتبع ما يلقى إليه من الأخبار الغريبة، وجعله في حالة نفسية مضطربة تساعد الكاهن على الوصول إلى ما يريد، وتأويل ما يسمعه بحسب حالته ومدى فهمه. كما يلاحظ في نصوص الكهان أنها تحمل طابع التكلف الشديد في سجعها ولهذا لا يُطمَأَنُّ إليها كلها، فربما شاب بعضَها الوضعُ والنحل، وربما كان بعضها محفوظاً صحيحاً، أما سبب دخولها في النثر الفني فهو قيامها على السجع في عباراتها.

---

* تُبَّع: تُبَّع مفرد التبابعة، وهم ملوك اليمن، سموا بذلك الاسم لأنه يتبع بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعا له على مثل سيرته. وفي الحديث: "لا تسبُّوا تابعا فإنّه أول من كسا الكعبة".